لماذا يجب أن تقرأ رواية سفير الملكوت ؟

قبل الولوج في هذا الحديث أحب توضيح أن الوجوب هنا ليس بمعناه الفقهي كما قد يتصور، ولكني أقصد أهمية قراءتها لمن هو مهتم بالرواية بشكل عام، ومهتم بنتاجنا الأحسائي، ومهتم بالكاتب الأستاذ حسن الحجي، ينبغي له أن يقرأ هذه الرواية ، وإشارة لأهمية مافي الرواية من قيم ومعتقدات وأفكار قياسا بغيرها من الروايات التي كتبتها رغم أن لكل رواية طعم واتجاه وقيم ..

وحتى نتعرف على ما في الرواية من إشارات وإثارات نلج في السؤال عبر إعادته :

لماذا يجب أن تقرا رواية سفير الملكوت ؟

أولا: التجربة في الجانب التربوي في كتابات السيد حسن الحجي بهذا الشكل تعتبر إضافة في رصيد هذا الجانب، لكنها تجربة شائكة جدا، وهي أشبه بالدخول إلى عش الدبابير، فهو موطن لا يخلو من صعوبة كونه مكمن من مكامن الوقوع في شرك الأدلجة في مقابل التحرر والتحلل الخلقي، وكلاهما مشكل، وهذه التجربة ليست جديدة بقدر ما هي مختلفة، أو بقدر ما هي من حيث التاريخ كتبت قبل سنوات ، ولكنها في قالب مختلف عما ألفنا فيه مواضيع الكتابات الأخرى وتوجهاتها ، وهنا مسألة نجاحها من عدمه مسألة تستدعي التأمل والإلمام بمجامع الحكم والنقد في هذا الجانب، وهذا أتركه للمتخصصين في مجال نقد الرواية، وهناك مسألة الذوق والقراءات الانطباعية وإبداء الرأي كقارئ فهذا متاح لأي قارئ بأن يقول رأيه الشخصي وحكمه الذي يصل إليه .

ثانيا: هذه الرواية تلامس القضايا الكبرى، والأسيئلة المثيرة للجدل في عالم الرواية، والتي غالبا ما يدور حولها خلاف وصراع حول مسايئلها، مثل قضية الفن لأجل الفن ، أو الفن من أجل الرسالة، ويهمنا أن نعرف كيف حدث ذلك في الرواية ، ونقول:
إن شخصية سلمى أم فراس مهتمة بالماديات ، وأثرت هذه المسألة في علاقتها مع زوجها، واتخذ الكاتب شخصية أبي فراس من أجل إعلاء القيمة المعنوية الأمر الذي عرض هذا الصراع ومعه استخدم الروايئي تقنيات فنية ، ومعايير روايئية تقترب أو تبتعد عن الجمال، لذلك نثير هذا السؤال:

هل اتخذ الروايئي الأستاذ حسن الحجي أسلوبا مباشرا في إيصال الرسالة هذه؟ أم اتخذ أسلوبا

مذوبا جماليا حرفيا مهنيا يرتقي بالرواية ولغتها ؟ هل كتبها موٴخرا اٴو في بداياته؟

وهنا اٴنا اٴترك الإجابة لتطبيق القارى وذوقه، فلتقروٴوا هذه الرواية ولتجيبوا على هذا التساوٴل المهم ..

فكما تعرفون للخروج من الوعظ والجانب الفقاهي في الاٴدب يلزم اٴن نستخدم تقنيات السرد والرمزية ربما من اٴجل ذلك ، واٴفترض بأن فكرتي عن كاتبنا وصديقنا كذلك .

ثالثا :
من الاٴهمية بمكان طالما اٴن التجربة جديدة فلتعرف على استخدام الموٴلف لاٴساليب السرد وتقنياته واستراتيجاته ، وكيف وظفها من اٴجل الرواية ومقوماتها وملامحها الاٴسلوبية، وصنعة اٴحداثها، ودهشة لغتها ، وهذا لا يتاٴتى إلا بعد قراءة هذه الرواية ، وهذا مبرر آخر، وسبب مختلف لاٴجل قراءة هذه الرواية مع هذه التحديات.

رابعا: هناك العديد من التناصات والاقتباسات في هذه الرواية، فهناك الآيات القرآنية مثل ما استدل به من سورة الرحمن (كل من عليها فان) ، وهناك من السيرة النبوية وقصصها مثل قصة النخلة التي قطعها الصحابة لاٴنها تطل على جاره، وهناك من سيرة الإمام الحسن عليه السلام من حيث الخروج عن امواله مرتين، وهناك من الادعية المتضمنة خلال طيات الرواية مثل دعاء الوضوء، وظعاء كميل، بل وهناك اٴشعار ربما من تاٴليف الروايي.

فلسايٴل اٴن يسائل ما لكل هذا ؟ ولم تم وضعه من قبل الكاتب؟ ولاٴي قصد تم ذلك ؟ هل يلزم من ذلك الاٴدلجة ؟ اٴم يلزم من ذلك وضع الحجة ؟ هل نخدم الفيٴة فيها والطايٴفة ؟ اٴم هي تعبيٴة فراغ، وحشو؟
إذن ليس من مهمتي ،ولا دوري بأن اٴفرض عليك راٴيي في تحديد إصابة كاتبنا لهدفه اٴو لا؟ وإن كنت تريد مساعدتي فساٴقول:
إن استخدمها الروايٴي الاٴستاذ حسن الحجي بطريقة مذوبة وجمالية يتطلبها السياق، ويفرضها المنطق، وعرقى بالحس الجمالي والشاعري في الرواية فهو استخدام موفق، وإن كان فيه من الفرض وتضييق الواسع والقسر فذلك غير موفق.
واٴحسب اٴن بعضها على الاٴقل موفق.

خامسا: الحجج المنطقية والنفسية في الحوارات ومن ذلك حوار أبي فراس مع فراس بعد الخروج من بيت أبي هاني، وكذلك حديث أبي فراس مع صبري ، ويحتل الحوار مع صبري الصفحات من 173 إلى179 في الفصل 19.

وحوار أبي فراس مع حامد في منتصف الليل وهو يحتل الصفحة من 157 إلى 161 وهو يحتل الفصل 19، وهذا الحوار يحتوي على قانون الزحزحة والإحلال.

وكذلك حوار أبي فراس مع ميثم من الصفحة 128 إلى 129 من القصل13

.

إلى أي حد تشبه هذه الحوارات الحوارات الحضارية والمؤثرة التي تغير من أفكار الشباب وتحتويهم وتجيب على تساؤلاتهم ، وتصلح كذلك لتغيير السلوك المنحرف، وكأنها علاج نفسي، وجرعة من جرعات يحتاجها من هو في هذا الطريق؟ وإلى أي حد تشبه هذه الحوارات الحوارات المذهبية التي يعلو فيها الصراخ ويغيب احترام الحقيقة إلى الهوى والميول؟

لن أجيب وأترك الإجابة لمن سيقرأ.

سادسا: هل المكان والزمان الحاضران في الرواية مستحضران مستوعبان للأحداث؟ أم أن دورهما دور هامشي تكميلي عرضي، ذكر من أجل الذكر فقط ؟

وقد ذكر المكان صراحة مرتين، الأولى في رحلة إلى شاطئ نصف القمر، والمرة الثانية صفحة 154 حين تطلب أم فراس من سايق الأجرة أن يوصلها لحي الراشدية، فيسأل هل الحي أ أو ب أو ج؟
أما الزمان فلا يوجد دلالة على تاريخ القصة، ولنا أن نسأل هل لذلك تأثير على الأحداث أم لا يوجد ؟

سابعا: هل تنتمي الرواية إلى روايات ما بعد النهصة الصناعية الحديثة من حيث التكنولوجيا والتقنيات الحاصلة في العصر الحديث؟ هل هناك أحداث مصيرية ممكن معرفة هذا الأثر من خلاله؟

هل كان ذلك الاستعمال استعمالا معمقا يفضي إلى هذه الدلالة التي نريدها؟

وفي هذا الصدد لا يوجد سوى إشارة بسيطة وهي في صفحة 190 من الفصل 20 حينما أشار علاء لرقم جواله أو الهاتف النقال لعلها تتصل به..

بعد هذه الأسيئلة نعود لجزيئية بسيطة وهي مسألة الفن من أجل الفن، والفن من أجل الرسالة.. أقول إن الفن وسيلة وهدف في نفس الوقت فالوصول للأهداف السامية عبر وسيلة إبداعية هو الفن بعينه، والوصول بوسيلة جميلة مبتكرة تعلي من شأن الهدف وترقى بالطريق والوسيلة التي نصل بها إلى الهدف

ووصولنا للهدف بطريقة عادية يجعل من السلك والطريق والوسيلة وظيفية فقط لتأدية المهمة، وفي هذا الحين سيكون علينا معرفة أن الأدب غاية ووسيلة في حد ذاتها، وإن استخدمت هذه الوسيلة لخدمة الطايفة والجماعة والفيئة بل والذات الضيقة فإننا نكون بذلك أدلجنا هذه الوسيلة وإن كانت سببا وطريقا للهدف، وإن كان الهدف ساميا في حد ذاته، لكننا بذلك جعلنا الفن مطية سهلة لا قيمة لها ..

لذلك علينا مراجعة ما ذكر واستحضاره لنعرف كيف توثر فينا الروايات، وكيف يوثر سيرها للهدف، وما هو الهدف الذي تخدمه، وعلينا ألا نبحر في عالم أفلاطوني مليء بالمثالية بطرق لا تخلق جاذبية للفن، فالفن المجرد من قيم الفن يتحول إلى هدفه غير الفن ونصبح بذلك أدلجنا وأنزلنا من قيمته وقيمه.

ومحافظة الفن على قيم الفن هو المطلوب وإن اكتفينا بهدف المتعة، والعبثية من الإملاءات الأيدلوجية الثقيلة، فذلك خير من شغل الفن بما ليس من متعلقاته والركوب على ظهره دون مراعاة لأصوله وأحواله .